المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 14-07-2007 العـــدد : 12707
الصفحـات : 17 المسلسل : 127

الملك عبدالله.. مرحلة التحديات

المصـــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 14-07-2007 العـــدد : 12707
الصفحـات : 17 المسلسل : 127

د. سامي بن أحمد المهنا

إنها مرحلة أو فترة تاريخية يمر بها العالم كله، تلك التي نعيشها منذ سقوط الاتحاد السوفيتي - القديم - في أعقاب الحرب الأفغانية ضد السوفيت. وحتى يومنا هذا.. ولا أحد كان يتوقع أن النظام العالمي الجديد أو القوة الوحيدة العظمى أو النظام الأحادي القوي، سوف يكون من تداعياته أو سماته أو إنجازاته الحرب على أفغانستان، واحتلال العراق بعد غزوه، واستمرار إسرائيل في خرقها لكل الأعراف والقوانين الدولية ضد الشعب الفلسطيني.. وأيضاً لم يكن لأحد - حتى الآن - أن يتوقع متى تنتهي هذه الفوضى العالمية؟!

ولايزال شبح ضرب مركز التجارة العالمي، ووزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) في الولايات المتحدة الأمريكية. وما استقر على تسميته بتعبير ظريف (أحداث سبتمبر الشهيرة).. مبرراً وأحد أهم أسباب الإرهاب الذي يطل على العالم كله بين الحين والآخر، سواء العمليات الإرهابية، أو الحرب على الإرهاب.. ففي كل الأحوال المادة المستخدمة هي الرصاص والقنابل والعنف والعنف المضاد.

وخلال هذه الفترة أيضاً (عربد) الإرهاب بكل أشكاله ومسمياته على شتى بقاع العالم، وإن كان قد اختص المنطقة العربية بالجزء الأكبر من عملياته الحقيرة، والجبانة، والبعيدة كل البعد عن كل ما يدعيه هؤلاء الذين يقومون بتنفيذ عملياتهم الإرهابية.

وكان من المحزن ومن المؤسف، أن تكون هناك عمليات إرهابية قذرة أخذت الدين الإسلامي شعاراً لعملياتها، في حين أن الإسلام السمح أبعد ما يكون عن كل ما فعلوه.. ففي المملكة العربية السعودية، التي نالت جزءاً كبيراً من بعض العمليات الإرهابية في الوقت الذي تكرس جهودها الرشيدة كل جهدها للإصلاح والازدهار لأبناء المملكة في شتى المجالات.

إن المسرح العالمي يموج بمتغيرات وتغيرات غريبة ومسميات أغرب، وأيضاً لا أحد يعرف نهاية لها..!

والمسرح العربي هو جزء من المسرح العالمي، إن لم يكن الجزء الأهم من هذا المسرح الكبير، لكل ما حباه الله به من مميزات ومزايا هي بالقطع غير متوافرة في أي منطقة أخرى من العالم.

إن المسرح العربي بحاجة إلى إصلاحات جذرية على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وما إلى ذلك، ورغم أن الإصلاح والسير نحو الازدهار، والانطلاق نحو العالمية والموضوعية في كل شيء في المملكة لم يكن وليد اللحظة أو اليوم، بل كان ذلك هو سلوك حكام المملكة منذ عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله، ماراً بكل من الملك سعود والملك خالد والملك فهد رحمهم الله، مما يؤكد أن المملكة حكومة وشعباً منذ القدم يد واحدة وقلب واحد من أجل التطوير والازدهار.. والوقوف سداً منيعاً أو حائطاً صلباً أمام كل أنواع الإرهاب وأشكاله، وبكل مسمياته.

ومع رحيل الملك فهد بن عبدالعزيز إلى مثواه الأخير دخلت المملكة عهداً جديداً يقوده خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز. الرجل الذي أدار شؤون البلاد داخلياً وخارجياً منذ ما يقرب من عشر سنوات كاملة، عندما حال مرض الملك فهد بن عبدالعزيز عام 1995م من القيام بواجباته ومسؤولياته، حيث أثبت الملك عبدالله عندما كان ولياً للعهد ونائباً للملك - وقتئذ - قدرة عالية وفائقة على إدارة شؤون المملكة، خلال فترة استلاك بالتحديات الجسام والتي وصلت إلى ذروتها في أعقاب هجمات 11 سبتمبر 2001م.

ويحسب للملك عبدالله بن عبدالعزيز، عندما كان مشغولاً بوظائف الملك فهد - رحمه الله - أنه استطاع إدارة شؤون البلاد بكل اقتدار وعلى جميع المستويات داخلياً وخارجياً.

وفتح خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز القنوات الشرعية لسماع مطالب السيدات السعوديات اللاتي شاركن في الحوار الوطني حول أوضاع المرأة تحت رعايته - عندما كان ولياً للعهد ونائباً للملك - وهو ما أقرته الطبيعة الاجتماعية فيما يتعلق ببسطوة الرجل السعودي على جميع حقوق المرأة الشرعية، ومنعها من التصرف فيها إلا بإذن مباشرة منه، وذلك لما فيها من مخالفة صريحة لمبادئ الشرع الإسلامي التي تقر شخصية مستقلة للمرأة في المواريث والأموال والعمل والتجارة.

إن المملكة خلال فترة حكم الملك فهد - رحمه الله - وأثناء تولي الملك عبدالله أمورها ونيابته وولايته للعهد، وحتى أصبح ملكاً للبلاد، أصبحت نموذجاً مؤسسياً تتحدد فيه القواعد والآليات والنظم والقوانين والحقوق والواجبات التي كان من أبرزها التحديث والحرية التي أخذت تتبلور في رحم المجتمع السعودي بفعل التعليم والتعامل مع الخارج، مما شكل طبقة متزايدة العدد ومتفتحة القيم، بفعل اندماج الدولة السعودية في الاقتصاد العالمي نتيجة النفط والتجارة الخارجية.

ويذكر أنه منذ عام 1979م، وحتى نهاية يناير 1992م كان الحوار داخل الأسرة الحاكمة مسألة حساسة، ولكنها درست من جوانبها المختلفة، وصيغت في نقلة عملية من الأعراف والتقاليد الموروثة منذ عهد تأسيس المملكة في عام 1932م إلى صيغة قانونية واضحة ومحددة.. وهذا ما يفسر الانتقال الهادئ والبسيط للحكم وفي دقائق معدودة، نتيجة لتقاسم وتوافق أسرة آل سعود، الذين يتميزون بسمة التضامن الذاتي، وهي سمة تمثل صمام الأمان لحكم الأسرة.

وكون الملك عبدالله بن عبدالعزيز، كان ولياً للعهد طيلة حكم الملك الراحل فهد، ومسؤولاً مباشراً عن إدارة شؤون المملكة طيلة عقد سابق، يشير إلى أنه لا تغيير جذرياً في آي من الملفات الكبرى التي فرضت نفسها على المملكة، وبخاصة في السنوات الخمس الأخيرة، وهي ملفات يمكن إجمالها في ثلاثة أمور كبرى، أولها: رعاية العلاقة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية، ودورها الإقليمي والدولي، ثانيها: في مجال التطوير والإصلاح الداخلي المتدرج والذي يقود إلى انفتاح اجتماعي، وثالثها: يتعلق بمواجهة الظاهرة الإرهابية التي تعرضت لها المملكة في السنوات الخمس الماضية.

هذه الملفات الأهم لم تكن بعيدة عن الإدارة المباشرة ويحسب للملك عبدالله بن عبدالعزيز أنه استطاع أن يقدم خطوات ومبادرات خلال زيارتين مهمتين إلى واشنطن، ساهمت هذه الخطوات والمبادرات في شرح مواقف المملكة وتخفيف النقد لها بعد أحداث سبتمبر 2001م، ثم طور الملك عبدالله تلك المواقف ناحية استعادة الزخم مرة أخرى للعلاقة الاستراتيجية مع واشنطن، والتي بدورها قابلت هذه المساعي بصدر مفتوح، استناداً إلى حقيقة أن المصالح الإستراتيجية الكبرى التي تربط بين البلدين أعمق من هزة عابرة.

وإذا كان عامل النفط الذي تسيطر المملكة على ربع احتياطه العالمي المؤكد، وبما لا يمكن للاقتصاد العالمي أن يتجاهله تحت أي ذريعة كانت، وكان التعاون الأمني الكبير الذي تم تنظيمه في عدد من الاتفاقيات بين البلدين كان له مردوده الإيجابي على استعادة الوضع الطبيعي لعلاقات البلدين، ولن يكون - من وجهة نظرنا - أن يولي الملك عبدالله بن عبدالعزيز هذا الملف الحيوي الكبير من اهتمامه الشخصي المباشر لما له من صلة مباشرة على مصالح المملكة وحيويتها ودورها.

أما ملف الإصلاح والنهضة، فلم يكن بعيداً عن رعاية شخصية مباشرة للملك عبدالله، الذي أصلح بعض الثغرات في المجتمع السعودي، ولا بديل عن معالجتها بنوع من التدرج والحوار ومراعاة الشريعة الإسلامية، فضلاً عن التوازنات الاجتماعية الرئيسية، وبخاصة دور المؤسسة الدينية الذي وجه إلى ضرورة إصلاح ما يحكمها من أفكار وقيم. ويحسب للملك عبدالله أنه دافع عن وعي إلى ضرورة الدخول في عملية إصلاحية للمجتمع السعودي.

وحول كل هذه الأمور، فإن هذه السياسات ستأخذ حقاً أكبر من الرعاية من الملك عبدالله.

وإذا عرجنا على الملف الثالث والأهم وهو الحرب على الإرهاب، فسنجد أن السياسة التي اتبعت فرقت بين ثلاثة مسارات، أولها: مسار أمني، وثانيها: مسار مالي، وثالثها: مسار فكري ديني.

وبالرغم من أن هناك دلائل على احتواء الظاهرة الإرهابية والتقليل من خطرها، فإن المواجهة - خاصة في شقها الفكري - تحتاج إلى سياسة طويلة النفس ورؤية واضحة، عبر عنها الملك عبدالله بن عبدالعزيز في مناسبات عديدة بالقول إن المطلوب هو إحياء الروح الوسطية والاعتدال بين نفوس السعوديين حتى يتم تحقيق انتصار حاسم على التطرف والغلو الذي يمثل المنبع الأول للإرهاب المعاصر، وهنا يستطيع الملك عبدالله بن عبدالعزيز القضاء على واحد من أكبر التحديات التي في (ملفاته) وفقه الله وأعانه، ونحن من ورائه وخلفه.

وهناك ملفات أخرى فرعية من قبيل الحفاظ على دور إقليمي عربي وإسلامي حتى تستطيع المملكة العربية السعودية تقديم المساندة السياسية والمعنوية حين تستدعي الظروف والمستجدات منها ذلك.

لكل هذه الأسباب.. ومن واقع إيماني بقدسية تراب أرض المملكة العربية السعودية، وقناعتي برجال حكومة المملكة

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 14-07-2007 العـــدد : 12707
الصفحـات : 17 المسلسل : 127

الرشيدة.. وجدتني متفرغاً وباذلاً كل جهدي لكي أسجل وأكتب وأرصد لهذه المرحلة التي يعيشها أبناء جيلي، لعلهم ولعل الأجيال التالية يعرفون ما لم يتح لهم أن يعرفوه عن تلك المرحلة التي يمر بها العالم.. وعن نهج آل سعود في إصلاح وازدهار المملكة.. وعن حرب حكومتنا الرشيدة والحكيمة على الإرهاب.. وكيف أن حكام المملكة لا يشغلهم سوى المواطن السعودي، واستقرار الأمن والسلام محلياً وعربياً وعالمياً.

لقد استغرقني هذا الفكر الذي بين يديك عزيزي القارئ على صفحات عزيزتنا الجزيرة الكثير من الوقت والجهد والمال من خلال كتابي القادم.. (عبدالله بن عبدالعزيز.. مسيرة الإصلاح ومعركة الإرهاب).. وبهذه الموضوعية ومن واقع حقائق ثابتة ومؤكدة، ورؤية صادقة، ورغم أن العمل كان يحتاج لبضعة آلاف من الصفحات، فإنني آثرت أن تكون بقية العمل في أجزاء لاحقة.. لا أعرف متى.

وفي كل الأحوال، كان إحساسي وكانت مشاعري، وأنا أسجل هذا العمل، مثلما الذي في عُنقه (دين) للمملكة الحبيبة، ولترابها المقدس، ولحكومتها الرشيدة. يحاول أن يسدده.. مجرد محاولة.. ذلك أن ما في عنق المواطن السعودي لتراب المملكة ولحكومة المملكة لا يمكن أن يُسدد.

عظيم العرفان لحكومتنا الرشيدة وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حفظه الله، وأعانه على مواجهة كل التحديات التي يعيشها العالم كله والمملكة جزء مهم وحيوي من هذا العالم.

والمملكة في قلب الملك عبدالله وعقله، وأبناء المملكة وأمورهم وهمومهم وازدهارهم والارتقاء بهم هم شغله الشاغل، اليوم وغداً، فهو الأب والأخ الكبير لكل شعب المملكة رجاله ونسائه، وأطفاله وشبابه وشيوخه.

ونحن جميعاً فداء لهذا المليك وسمو ولي عهده الأمين، الساهرين دائماً على شؤون المملكة، والحامين لمقدساتها.

وكل الولاء والانتماء للمملكة الحبيبة وترابها الغالي، ولهذا الملك الذي أمضى عامين من النهضة والتنمية ومواجهة التحديات.

كاتب ومستشار إعلامي
samialmehana@hotmail.com